يتجول في المنطقة، ويأتيه بأنباء -حلب- حرسها الله، وبأنباء أهلها وسكانها وحالهم في جفلة الخوف من غزو الروم، وينقل إليه عن رؤية عين، أخبار السياسة والحرب والبلاط والمجتمع.

ويقوم -الثعلب- بواجبه خير قيام، ويأتي بكافة أنباء الساعة، حتى إذا استوعب الشاحج ما أراد من أنباء، عرف مواقف الرؤساء والقادة.

يعود-أبو العلاء ليظهر على المسرح وينهي التمثيلية ويقدم تحية الختام- للسيد عزيز الدولة وتاج الملة أمير الأمراء، أعز الله نصره-.

قيمة الرسالة:

ترجع الدكتورة -بنت الشاطئ- أهمية الرسالة في مقدمتها اللطيفة إلى كونها -وثيقة تاريخية هامة لفترة حرجة من تاريخ مصر والشام، رواها شاهد من عصرها رصد مايعرفه في التاريخ بجفلة عزيز الدولة، واستوفى أخبارها وأعطى تفسيرها-، ومع أن الدكتورة محقة كل الحق فيما ذهبت إليه، إلا أنني أرى أن أهمية الرسالة وقيمتها تنبعان من الأسلوب العلائي الرفيع الذي لا يجارى.

وقد صدق -الكلاعي- عندما قال: - ليس لإبداع أبي العلاء غاية وانتهاء- ، فمع أن موضوع الرسالة يظهر للوهلة الأولى ساذجاً وبسيطاً، إلا أن أسلوبها سرعان ما يتألف على شكل ساحر يخلب الألباب، وتظهر من وراء هذا الأسلوب شخصية أبي العلاء الفذة، فإذا به كالغواص الماهر الذي يطيل الغوص إلى أعماق البحر ويعود حاملاً معه سني اللآلئ والدراري التي تبهر الأبصار...

وإذا كان -أبو العلاء- لا يغوص إلى أعماق البحر، فإنه يغوص إلى أعماق اللغة العربية، ويعود بمفردات لا أحلى ولا أجمل ولا أصعب، وتراه يصوغها بمهارة فائقة وبأناة العالم المتمكن، الذي لا تظهر على أسلوبه سمات التكلف أو التصنع، وإنما يظهر وكأنه ينثال سلسلاً عذباً على الأرواح الظمأى، فتصدر عنه وقد ارتوت أصالة وذوقاً وعلماً ومعرفة.

فهو وإن كان قد اختار أسلوب الحوار على ألسنة الحيوانات، إلا أنه لم يختر الحوار الجملي القصير، بل يطيل الحديث، فقد يتكلم أحد أبطال المسرحية فإذا به يطنب ويطيل، ويتنقل من فكرة إلى فكرة، يستشهدبمثل أو حكمة أو بيت شعر أو بشطرة رجز، فيمتع القارئ أيما إمتاع..